

أضواء من التفسير

للشيخ: عبد القادر شعبة الحمد
المدرس بكلية الشريعة

قال تعالى: **{وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ، إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادُ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ، رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ}.**

المناسبة : لما قص الله تعالى قصة داود عليه السلام وبين فضل الله على عباده الصالحين، ذكر قصة ولده سليمان عليه السلام لأنه من تمام نعمة الله على داود عليه السلام، ولزيادة تقرير الغرض الذي سيقت من أجله قصة داود عليه السلام وهو طمأنينة قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

المفردات : **{وَهَبْنَا}** أعطينا ومنحنا **{الْعَبْدُ}** الخاضع لربه يعني سليمان **{إِنَّهُ}** أي سليمان **{أَوَّابٌ}** رجّاع إلى الله **{عَرَضَ}** أمر **{عَلَيْهِ}** على سليمان **{بِالْعَشيِّ}** هو ما بعد الزوال **{الصَّافِنَاتُ}** هي الخيل جمع صافنة وهي الفائمة على ثلاث وقد أقامت الرابعة على طرف الحافر استعداداً للجري **{الْجِيَادُ}** جمع جواد أو جمع جود كثوب يطلق على الذكر والأنثى والمراد : السريع السابق الخفيف في الجري وهو بهذين الوصفين المحمودين فيها واقفة وجارية **{الْجِيَادُ}** أثرت **{الْخَيْرِ}** الخيل كما حكى عن قتادة والسدي وقيل المال والظاهر الأول **{حَتَّى}** إلى أن **{تَوَارَتْ}** اختفت واستترت **{بِالْحِجَابِ}** بما أشرف من الجبل أو الإصطبلات والظاهر الأول **{رُدُّوَهَا}** أرجعوها والضمير المنصوب للخيل والمأمور بالرد ساستها **{طَفِقَ}** شرع **{مَسْحًا}** إمراراً بيده على ما يلطخ بالغبار لإذها به وإزالته **{بِالسُّوقِ}** جمع ساق وهو ما بين الكعب والركبة **{الأَعْنَاقِ}** الرقاب.

التراكيب : قوله **{وَوَهَبْنَا}** الواو استثنائية . وقوله **{نِعَمَ الْعَبْدِ}** المخصوص بالمدح محذوف والتقدير هو أي سليمان. وقيل المخصوص بالمدح داود والظاهر الأول. وقوله **{إِنَّهُ أَوَّابٌ}** تعليل للمدح والضمير لسليمان وقوله **{إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ}** العامل في إذ قيل : أذكر ، والمراد من ذكر الوقت ذكر ما وقع فيه . وقيل : هو ظرف لأوَّاب أو لنعم والظاهر الأول والضمير في عليه لسليمان وقوله **{بِالْعَشيِّ}** الباء للظرفية. والصفان نائب فاعل وإنما أخرج للتشويق . والصفان الجياد وصفان يوصف بهما المذكر والمؤنث من الخيل وقوله: **{فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي}** التعقيب باعتبار أوآخر العرض دون أوله . وإنما أكد بأن للدلالة على أن اعترافه من صميم القلب و**{حُبَّ الْخَيْرِ}** مفعول به لأحبت لتضمنه معنى أثرت. وعن للتعليل كقوله : **{وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ}** وذكر ربي مصدر مضاف لفاعله أي أثرت حب الخيل بسبب ذكر ربي لها، وثنائه عليها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"**. ولعل سبب تسميتها بالخير لغلبة خيرها وجليل منافعتها.

وقوله: **{حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ}** حتى للغاية بمعنى إلى أن، وهذه للغاية لمقدر مفهوم من السياق تقديره: واستمرت تعرض عليه حتى توارت بالحجاب ، والفاعل في توارت ضمير الصفان الجياد. وقول: **{رُدُّوَهَا عَلَيَّ}** ضمير الفاعل للساسة وضمير المفعول للخيل، والكلام على إضمار القول، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأن سائلاً سأل : فماذا قال سليمان؟ فقيل : قال: رُدُّه، وقوله تعالى: **{فَطَفِقَ مَسْحًا}** الفاء للعطف على مقدر مفهوم من السياق تقديره : فردوها فطفق مسحاً.. وإنما حذف هذه الجملة لظهورها ولبیان سرعة الإمثال كما في قوله : **{فَقَلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}** . أي فضرب فانفجرت منه وطفق من أفعال الشروع، ويندر أن يكون خبرها غير مضارع واسم طفق ضمير سليمان عليه السلام، ومسحاً مفعول مطلق لفعل مقدر هو خبر طفق، وتقديره فطفق يمسح مسحاً. فإن قيل فيه حذف عامل المصدر المؤكد وهو ممتنع عند ابن مالك، أوجب بأنه ليس بمؤكد بل هو مف عول مطلق مبين للنوع لتعلق ما بعده به وهو بالسوق أي فطفق يمسح مسحاً كأنها يسوق الخيل وأعناقها. وأعرب أبو البقاء **{مَسْحًا}** علي أنه مصدر في موضع الحال أي مسحاً وهو مردود لاحتياج طفق للخبر. وإنما مسح سوقها وأعناقها لأن العرق أكثر ظهوراً فيها فتلطخ بالغبار ف صار عليه السلام لحيه لها ورفقه بها وشفقته عليها شمر عليها يده لإزالة ما تلطخ بها. وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى طريق شائكة فزعموا أن سليمان عليه السلام استعرض الخيل بعد الزوال حتى غابت الشمس ولها بها عن صلات العصر وكانت له، فقال للملائكة: "ردوا الشمس علي" فردوها عليه فصلى العصر ثم شرع يقطع سوق الخيل وأعناقها لأنها هي التي شغلته عن الصلاة ثم تصدق بلحمها فأعطاه الله خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب. ويفسرون **{أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي}** بأن معناها أحببت الخيل عن الصلاة .

وهذا باطل عاطل فما يكون لسليمان الذي قال الله فيه : **{نِعَمَ الْعَبْدِ}** أن يحب الدنيا وما فيها عن ذكر الله. وما يكون لسليمان أن يقطع سوق الخيل وأعناقها . وما ذنب الخيل إن كان سليمان اشتغل عن صلاة العصر كما يذهب هؤلاء؟ والله تعالى يقول : **{مَسْحًا}** وبأي هؤلاء إلا أن يقولوا قطعاً.

المعنى الإجمالي: ومنحنا لداود سليمان ولداً له وخليفة من بعده أنه يمدح لكثرة رجوعه إلى ربه. اذكر يا محمد وقت أن مر على سليمان في وقت العشب الخيل العجبية في وقوفها وجريها. لقد أظهر شعوره نحوها وانطلق قائلاً: "إني أثرت حب الخيل بسبب أن الله ذكرها لي وأثنى عليها"، فلما بلغت غايتها، واستترت بما أشرف من بعض الجبال أو دخلت اصطبلاتها نادى ساستها فقال: أرجعوها إلي. فأرجعوها إليه فشرع يمسح سوقها وأعناقها ليزيل ما عليها من الغبار رحمة بها وشفقة عليها وحبا لها .

ما ترشد إليه الآيات:

- 1- أن سليمان ابن داود.
- 2- أنه خليفته من بعده.
- 3- ثناء الله على سليمان.
- 4- كثرة عبادته.
- 5- حرصه على الجهاد.
- 6- استعراض الخيل.
- 7- استحباب اختيار الأصناف الجيدة من الخيل.
- 8- إعلان حب ما يحبه الله.
- 9- سرعة امتثال ساسة الخيل لسليمان.
- 10- تواضعه عليه السلام.

قال تعالى: **{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ، قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ، وَأَخْرَيْنَ مُعْرِينَ فِي الْأَصْفَادِ، هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَآبٍ}**.

المناسبة: بعد أن مدح سليمان وأثنى عليه وبين حرصه على الخيل التي هي آلة جهاد أعداء الله، ذكر قصة فتنته عليه السلام التي كان سببها شدة حرصه على الجهاد أيضاً.

القراءة: قرأ الجمهور: **{الرِّيحُ}** بالإفراد وقرئ: **{الرياح}** بالجمع، وقرأ الجمهور: **{وَحَسَنَ مَآبٍ}** بالنصب وقرئ بالرفع.

المفردات:

{فَتَنَّا} اخ تبرنا وابتلينا، وذلك بأنه حلف ليطوفنّ على أربعين أو سبعين امرأة من نسائه تأتي كل واحدة منهنّ بفارس يحمل السلاح ويجهد في سبيل الله عز وجل ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهنّ فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل فأخذ وألقى على كرسيه، وقد روى ذلك البخاري ومسلم وغيره ما عن أبي هريرة مرفوعاً وفيه: "والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله **لجاهدوا في سبيل الله فرسان أجمعون**"، وفي البخاري: "إن الملك قال له قل إن شاء الله فلم يقل". **{أَلْقَيْنَا}** طرحنا، **{كُرْسِيِّهِ}** سرير ملكه، **{جَسَداً}** جسم إنسان، **{أَنَابَ}** رجع، **{وَهَبَ لِي}** أعطني وامنحني، **{مُلْكاً}** سلطاناً، **{لَا يَنْبَغِي}** لا يكون، **{مِنْ بَعْدِي}** سواي، **{فَسَخَّرْنَا}** فذللنا، **{بِأَمْرِهِ}** بطلبه، **{رُخَاءً}** ليناً، **{أَصَابَ}** قصد، وأراد بلغة هجر وحمير وعن روبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن معنى هذه الكلمة فقال لهما: "أين تصيبا ن؟ فقالا: هذه طلبتنا ورجعنا". وعلى هذه اللغة قول الشاعر:

أصاب الكلام فلم يستطع فأخطأ الجواب لدى المفصل

{الشَّيَاطِينَ} جمع شيطان وأصله المتمرد من الجن والإنس و الدواب مأخوذ من شطن

بمعنى بعد كقول الشاعر:

نأت بسعاد عنك نوى شطون

والتمر بعدت خلاله عن الخير فسمي شيطاناً . والمراد به هنا شيطان الجن خاصة **{عَوَاصٍ}** فعال من الغوص وهو : النزول تحت الماء لاستخراج اللؤلؤ **{مُعْرِينَ}** مجموعين مشدودين إلى بعض **{الأصْفَادِ}** القيود **{فَامْنُنْ}** أي أطلق .

التراكيب: قوله: **{ثُمَّ أَنَابَ}** عطف على فتنا. وإنما عطف بتم للإشارة إلى استمرار إنابته وامتدادها أو لأنه عليه السلام لم يعلم بالفتنة عقيب وقوعها. وقوله: **{قَالَ}** بدل من أناب ويجوز أن يكون استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: كيف كانت إنابته؟ فأجيب: قال رب اغفر لي. وقوله: **{إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}** تعليل للإستيهاب، وضمير الفصل للتأكيد والفاء في قوله: **{فَسَخَّرْنَا}** تفرعية؛ لتفريع التنسيخ على طلبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

وقوله: **{الرِّيحُ}** على قراءة الجمهور بالإفراد وهو في معنى الجمع لكونه اسم جنس وقوله **{تَجْرِي بِأَمْرِهِ}** يجتمل أن تكون حالاً من الريح أي جارية ويحتمل أن تكون بياناً أو تفسيراً لتسخيرها له، وقوله: **{بِأَمْرِهِ}** مضاف لفاعله والباء للسببية ، وقوله: **{رُخَاءً}** حال من فاعل تجري وهي الريح وقوله: **{وَالشَّيَاطِينَ}** معطوف على الريح، وقوله: **{كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ}** بدل من الشيططين وقوله **{وَأَخْرَيْنَ}** عطف على كل داخل معه في البديل لأن كل بناء وعواص بدل كل من كل بدل التفصيل وليس معطوفاً على الشيططين لأنهم منهم وليس معطوفاً أيضاً على بناء وعواص لأنه مضاف إلى كل ولا يحسن فيه إلا الإضافة على مفرد منكر أو جمع معرّف وقوله :

{ هَذَا عَطَاؤُنَا } يجوز أن يكون مقولاً لقول مقدر معطوف على سخرنا أو حال من فاعله فتقديره على الأول: فسخرنا وقلنا، وعلى الثاني: فسخرنا قائلين، والإشارة إلى الموهوب وقوله: **{ فَاْمُنُّنْ أَوْ أَمْسِكْ بَغَيْرِ حِسَابٍ }** يجوز في الفاء أن تكون جزائية وبغير حساب إمّا متعلق بامرئ أو أمسك ويجوز أن يكون بغير حساب حالاً من فاعلها والتقدير فامنن أو أمسك حال كونك غير محاسب عليه ويجوز أن يكون بغير حساب حالاً من **{ عَطَاؤُنَا }** والعامل ما دل عليه هذا من معنى الإشارة كقوله: **{ هَذَا بَعْلِي سَيْخًا }** وعلى هذا فالفاء داخلة على جملة اعتراضية كقوله:

واعلم - فعلم المرء ينفعه - أن سوف يأتي كل ما قدر وقوله: **{ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى }** جملة حالية من فاعل سخرنا وقوله: **{ وَحَسَنَ مَا بِي }** بالنصب عطف على زلفى وبالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف تقديره له.

المعنى الإجمالي: ولقد بلونا هذا العبد الصالح واختبرناه وطرحنا على سريره شق ولد ثم رجع إلى ربه قال : سيدي ومالكى ومصلح شأنى استر علي وامنحني سلطاناً لا يكون لشخص سواي إنك أنت كثير العطاء فذلنا له الريح تسير بسبب أمره لها سرعة لينة طيبة إلى أي جهة قصدها وهذا عند حبه لئنها أما إذا أرادها شديدة عاصفة فإن ها تكون كذلك كما قال **:{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً }** وسخرنا له مردة الجنّ يصرف بعضهم في الأعمال الشاقة من البناء والغوص لاستخراج اللآلئ وآخرين يقيدهم بالقيود وقلنا هذا الموهوب منحة لك منّا وإذا كان كذلك فتصرف فيه بلا حساب عليك لقد سخرنا له هذا في الدنيا والحال أن له عندنا لدرجة عالية وجميل مرجع.

ما ترشد إليه الآيات: 1- فتنة سليمان 2- أن إلقاء الجسد على كرسيه كان من الفتنة 3- رجوعه إلى ربه 4- أن طلب التسلط للغرض الشريف جائز 5- لم يكن طلب سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد سواء من باب الأثرة الممقوتة والأنانية 6- إجابة دعوة سليمان عليه السلام 7- تسخير الريح بهذه الصفة مخصوص لسليمان 8- وأن الريح كانت منوعة رخاء وعاصفة 9- تسخير الشياطين لسليمان 10- وهذه التسخير من خصوصياته 11- إطلاق يده 12- درجته العالية في الدنيا والآخرة.